لمحة موجزة عن

القصة القصيرة في البحرين

بقلم: عبد القادر عقيل

لقد ارتبط ظهور فن القصة القصيرة في البحرين بعوامل تاريخية واجتماعية وثقافية مرَّ بها المجتمع البحريني في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية، إذ تبلورت الكثير من المواقف الحاسمة في الشخصية المحلية (الموقف من الاستعمار، ومن القومية العربية، والتعليم، والمرأة والتقاليد).

وبرزت نوازع الإرادة الشعبية لهدم جدار العزلة السياسية والثقافية، خاصة وان اكتشاف النفط، عام ١٩٣٢، اقتضى انتقال المجتمع البحريني من التخلف الى التمدن، والانفتاح على مظاهر الحياة العصرية، وعلى أشكال الثقافة الحديثة.

كما يمكن لنا ان نحدد دور الصحافة المحلية في نشأة الفن القصصي في البحرين، وهو دور يدرك الجميع طبيعته، لأنه لم ينفصل عن تاريخ القصة القصيرة في جميع البلدان العربية، إذ أن من طبيعة هذا الفن، الذي يحتاج الى جمهور قارىء وطبقة متعلمة، ان يرتبط بالمطابع والصحف.

من هنا يقترن ظهور فن القصة القصيرة بظهور أول صحيفة في البحرين، وهي جريدة البحرين التي أصدرها عبدالله الزايد. فرغم ان الطابع السياسي والإعلامي، المرتبط بظروف الحرب العالمية الثانية، قد طغى على الجريدة، إلا أنها حققت بعض تطلعات المثقفين في المجال الثقافي فنشرت الشعر والمقال الأدبي، كما نشرت المحاولات الأولى المضطربة في القصة القصيرة، وقد بدأت هذه المحاولات بهواجس تكشف عن رغبة قوية في خلق هذا الفن الأدبي في البحرين أسوة بالبلاد العربية خاصة حين أبدى بعض كتاب الجريدة أسفه لخلو الأدب في البحرين من هذا النوع من الأدب القصصي[1].

ولم تمض فترة طويلة على هذه الجريدة حتى ظهرت أولى محاولات الكتابة القصصية لمحمود يوسف وهي قصص: حائرة، والشاعر، وبين سارق وبخيل، فضلاً عن محاولات أخرى مثل يوم انزال السفن ونحوها[2]. ثم انقطعت هذه المحاولات بتوقف الجريدة. وعادت ثانية بعودة الصحافة الوطنية كجريدة القافلة والوطن وصوت البحرين. وفي هذه الصحافة تمثلت تجربة البداية الحقيقية للقصة القصيرة في البحرين بظهور قصص أحمد كمال وعلي سيار بوجه خاص فضلاً عن الكتابات والمقالات القريبة من روح القصة سواء التي كتبت بأسماء مستعارة أو التي كتبها كتّاب ارتبطوا بالحركة الوطنية آنذاك كمحمود المردي وعبدالعزيز الشملان وعبد الرحمن الباكر وغيرهم.

(٢)

ولا تستمر التجربة السابقة لبدايات القصة القصيرة في البحرين، إذ تتوقف الصحافة في نهاية الخمسينات، وتتوقف معها تلك البدايات، بل انها تنقطع تماماً عن الكتابة حتى منتصف الستينات حين ظهرت جريدة الأضواء. هنا تبدأ التجربة الأكثر قوة وعافية في بدايات القصة القصيرة في

(١) انظر كتاب «القصة القصيرة في الخليج العربي» ص ١٠٧.

(٢) المصدر السابق.

البحرين. . تجربة لم تشأ البداية من حيث انتهى السابقون، وانما شاءت ان تبدأ من حيث هي تنظر الى الواقع، فكانت تعلن عن حاجتها لكتابة قصة متجاوبة مع الواقع كما كتب أحمد قصاصي هذه الفترة وهو خلف أحمد خلف في جريدة الأضواء[٣].

وحين وضع الكتّاب تجربتهم على صعيد التجربة والواقع لم يكتفوا بمجرد التجاوب مع الواقع وترديد أصدائه ومشكلاته وتقاليده الظاهرة، وإنما تجاوزوا ذلك فأخلصوا له معبرين عن قضايا وطنهم الجوهرية كقضايا الانتماء والحرية ومشكلات الصراع الاجتماعي ومعاناة الطبقات الشعبية المغمورة، وقلق الطبقة المثقفة، وما يصاحب التغيرات الاجتماعية في حياة الأسر المتوسطة من مشكلات خطيرة أحياناً. كل ذلك كان يدفع كتّاب القصة القصيرة الى التناقض الحاد مع الواقع أحياناً، الأمر الذي جعل منها فنّاً يواكب المرحلة الجديدة، ويعبّر عن تطلعاتها ومشكلاتها الحضارية التي تلتبس فيها الهموم السياسية بالهموم الاجتماعية والانسانية.

(٣)

لقد جاء جيل الستينات في القصة القصيرة مشبعاً بدوافع مختلفة خلقتها سنوات القطيعة منذ نهاية الخمسينات. . وقد تهيأت له ظروف مختلفة على صعيد التعليم أو على صعيد الأجواء الثقافية العربية والقومية العامة جعلته أكثر حماساً واندفاعاً نحو تحقيق خطوات بعيدة في مجال تطوير فن القصة. وقد عرفت الصحافة في هذه الفترة أسماء هامة منها خلف أحمد خلف ومحمد عبد الملك ومحمد الماجد ظلت تكتب دون انقطاع حتى الفترة الراهنة، كما عرفت أسماء أخرى بعضها لم تتجاوز تجربته بضع قصص، وبعضها راح ينشغل بجميع الحدود والإمكانات الفنية التي ساعدت على تطور القصة القصيرة في البحرين. وحين ظهرت أسرة الأدباء والكتّاب الى الوجود في عام ١٩٦٩ جمعت هذه الأسماء في كيانها الأدبي وأصدرت أول مجموعة قصصية في عام ١٩٧١ تحت عنوان «سيرة الجوع والصمت» ضمت مجموعة من كتّاب القصة القصيرة آنذاك أمثال خلف أحمد خلف، محمد عبد الملك، محمد الماجد (توفي في عام ١٩٨٦) خليفة العريفي (تحول الى المسرح)، ومحمد مصطفى خميس (فلسطيني)، أمين صالح، خالد لوري (انقطع عن الكتابة) عيسى عبد الله هلال (انقطع عن الكتابة)، احمد جمعة مبارك (تحول الى المسرح) وقد انضاف الى هؤلاء كتّاب آخرون في السبعينات أمثال عبد الله خليفة وأحمد حجيري (كتب مجموعة كبيرة من القصص ثم انقطع عن الكتابة ابتداء من ١٩٧٧)، وعبد القادر عقيل وفوزية رشيد ونعيمة عاشور ومنيرة الفاضل وعائشة عبد الله غلوم وفريد رمضان وجمال الخياط وعبد الله عيسى وغيرهم من الأسماء التي ظهرت في الثمانينات.

ورغم كثرة الكتّاب ووفرة النتاج القصصي إلا أن بينها تجارب كثيرة غير مؤثرة إما لعدم استمرارها أو لعدم تطورها ومواكبتها للتجديدات المستمرة في هذا الفن. ومن الطبيعي أن ينحصر التأثير الفعال في مسار تجربة القصة القصيرة عند اسماء محددة وبارزة اتسمت بالاستمرار والانشغال الدائم بقضايا هذا الفن.

(٤)

من رواد هذه المرحلة ومؤسسيها الكاتب خلف أحمد خلف، ورغم ان اهتماماته الأدبية قد توزعت في الآونة الأخيرة بين المسرح وأدب الأطفال، الا انه لا يزال يمثل تجربة متميزة في تاريخ القصة القصيرة في البحرين، وقد كتب أول قصة في اكتوبر ١٩٦٥ بعنوان «لماذا كان وداعاً» واستمر ينشر قصصه حتى هذه الفترة. وكان من بينها قصة طويلة نشرت في سبع حلقات بجريدة الأضواء بعنوان «قلوب». أما قصصه القصيرة فلم يجمعها كلها في كتاب، وانما جمع الأخير منها في مجموعتين قصصيتين الأولى بعنوان «الحلم وجوه أخرى» صدرت في عام ١٩٧٥، والثانية بعنوان «فيزنار» صدرت في عام ١٩٨٥. وللكاتب اهتمامات جيدة بأدب الأطفال، فقد نشر قصصاً عديدة، كما كتب مسرحيات للأطفال منها: «مصباح علاء الدين» و«النحلة والأسد» و«ثعلوب الحبوب» و«وطن الطائر». وقد عرضت معظم هذه المسرحيات في السنوات الأخيرة ولقيت نجاحاً جيداً.

(٥)

ويعتبر محمد عبد الملك من أكثر كتّاب هذه المرحلة إخلاصاً لهذا الفن وإنتاجاً فيه، وهو يواكب تجربة خلف أحمد خلف دون ان تعتري تجربته وقفة أو فترة انقطاع، ويشحذ انتاجه القصصي بكثير من الاهتمام بقضايا الواقع. وقد كتب أول قصة قصيرة في مارس ١٩٦٧ بعنوان «رحلة الصقور» ثم توالى نتاجه في الصحافة المحلية والعربية وصدر له حتى الآن من المجموعات القصصية ما يلي: موت صاحب العربة (١٩٧٢)، نحن نحب الشمس (١٩٧٥)، ثقوب في رئة المدينة (١٩٧٩)، السياج (١٩٨٢)، النهر يجري (١٩٨٤)، ورأس العروسة (١٩٨٨). كما صدرت له رواية واحدة بعنوان «الجذوة» في عام ١٩٨٠.

(٣) انظر مقاله في جريدة الأضواء عدد ٦ - ١٤/١٠/١٩٦٥.

وقد حظيت تجربة هذا الكاتب باهتمام نقدي كشف عن طبيعة أسلوبه الفني ونهجه الواقعي.

(٦)

ويكتب محمد الماجد أول قصصه القصيرة في ديسمبر ١٩٦٥ بعنوان «غناء الذكريات» ثم تتوالى كتاباته القصصية التي جمعها في ثلاث مجموعات تعبّر عن تحولاته الفنية والنفسية منذ بداية تجربته وحتى وفاته في عام ١٩٨٦. وقد صدرت المجموعة الأولى في الكويت بدون تاريخ بعنوان «مقاطع من سمفونية حزينة» وصدرت الثانية في عام ١٩٧٧ بعنوان «الرحيل الى مدن الفرح» وصدرت الثالثة في عام ١٩٨٤ بعنوان «الرقص على أجفان الظلام» وقد عبّرت تجربته القصصية عن قلق نفسي حاد ومشاعر رومانسية جريئة كما اصطبغت بثقافة تختلط فيها المثالية بالتصوف بالعبث والوجودية.

(٧)

وقد لحق بالكتّاب الثلاثة السابقين مجموعة من الكتّاب الذين أثروا تأثيراً كبيراً في مسار تجربة القصة القصيرة في البحرين ومن أبرز هؤلاء أمين صالح. فهو ينشر أول قصصه في يناير ١٩٧٠ بعنوان «على صخرة جافة تحطم رأسي» ثم تستمر تجربته في التطور والنضج بسرعة تميزه عن بقية كتاب القصة القصيرة في البحرين. وهو ما تعبر عنه مجموعاته القصصية الصادرة. ففي عام ١٩٧٣ صدرت مجموعة «هنا الوردة هنا نرقص»، وفي عام ١٩٧٧ صدرت مجموعة «الفراشات» ثم صدرت مجموعة «الصيد الملكي» في عام ١٩٨٢ وصدرت مجموعة «الطرائد» في عام ١٩٨٣ ومجموعة «ندماء المرفأ.. ندماء الريح» في ١٩٨٧.

وقد صدرت له رواية واحدة فضلاً عن قصصه القصيرة بعنوان «أغنية ألف صاد الأولى». ومن أكثر ما تتميز به قصص أمين صالح تحررها من شكل القصة التقليدية واتجاهها نحو التجريب واهتمامها المكثف باللغة التعبيرية والتصوير والخيال وإن نزعت نحو مشاغل تبدو بعيدة عن سطح الواقع.

(٨)

وتتقابل تجربة أمين صالح مع تجربة عبدالله علي خليفة الذي صدرت له أول قصة في يوليو ١٩٧٠ باسم مستعار تحت عنوان «الحلم». وهو مثل سابقه لم ينقطع عن هذا الفن وإنما انشغل به، وتوجه اليه كلية، واهتم بتطويره امتداداً مع تجربة محمد عبد الملك المعنية بقضايا القصة الواقعية النقدية. وكانت له محاولات جادة لكتابة قصة واقعية أكثر تقدماً من الناحية الأيديولوجية والفنية نجدها في قصص المجموعة الثانية والثالثة بوجه خاص. وقد صدرت مجموعته الأولى في عام ١٩٧٥ بعنوان «لحن الشتاء» دون ان تتضمن بداياته الأولى، ثم نشر في دمشق عن اتحاد الكتاب العرب مجموعته الثانية بعنوان «الرمل والياسمين» ثم مجموعته الثالثة بعنوان «يوم قائظ».

ويتوجه عبدالله خليفة توجهاً جاداً نحو كتابة الرواية، بل انه أكثر من اهتم بكتابة الرواية حيث صدرت له ثلاث روايات وهي «اللآلىء» و«القرصان والمدينة» و«الهيرات».

(٩)

وممن تتميز تجربته القصصية مع أمين صالح وعبدالله خليفة عبد القادر عقيل الذي نشر أول قصة له في فبراير ١٩٧٢ باسم مستعار وكانت هذه القصة بعنوان «الوقت» واستمر ينشر باسم مستعار ما يقارب ١٢ قصة قصيرة.. وجميع هذه القصص لم تتضمنها مجموعته القصصية الأولى «استغاثات في العالم الوحشي» التي صدرت في عام ١٩٧٩. وبعد هذه المجموعة تطورت تجربة عبد القادر عقيل القصصية بسرعة مذهلة وأصبحت واحدة من التجارب المتميزة في القصة البحرينية القصيرة.. وخاصة في المجموعة الثانية «مساء البلورات» التي صدرت عام ١٩٨٥ وكتابه الأخير الذي صدر في ديسمبر ١٩٨٧ بعنوان «رؤى الجالس على عرش قدامه بحر زجاج شبه البلور» وهو عنوان يحمل دلالة المرحلة الجديدة المعتمدة على الصور المكثفة واللغة الشعرية المركزة التي ترفد من الذاكرة والتراث بانتقاء دقيق.

(١٠)

مع نهاية السبعينات تتعدد أصوات التجربة القصصية في البحرين بكثافة ملحوظة وفي حين تستقر أدوات بعض من ذكرنا من الكتاب، تتجه اسماء أخرى الى الانشغال غير المحدود بأشكال الحداثة في القصة ومن هنا تتشكل جميع الأساليب والاتجاهات خلال هذه الفترة من الاشراف المباشر على الواقع الى الواقعية النقدية والتحليلية والرومانسية، ومن التوظيف الاسطوري أو الشعبي الى الكتابة الشعرية، ومن تقنيات السينما والكاميرا الى تيار الوعي ومن اللوحات والمقاطع الى السريالية، ومن الأبعاد التشكيلية الى ايقاعات الأحلام، ومن الفانتازيا الى الكوابيس والرؤى المتقاطعة أو المقنعة.. ومن لغة الشعر الى لغة التمثيل والرسم.. الخ.

كل هذه الملامح تتمثل في تجارب من ذكرنا كما تتمثل في كتابات عديدة ظهرت في الآونة الأخيرة وتبلورت في سياق الاتجاهات والمعالم الراهنة للقصة القصيرة في البحرين. ومن هذه الأسماء فوزية رشيد التي صدرت لها مجموعة قصصية

بعنوان «مرايا الظل والفرح» في ١٩٨٣ كما صدرت لها رواية بعنوان «الحصار» في ١٩٨٣، وكذا نعيم عاشور الذي صدرت له «حالات العبء الأول» في ١٩٨٦ و«دفء لا وصف له» في ١٩٨٦، ومنيرة الفاضل التي صدرت لها مجموعة «الريمورا» في عام ١٩٨٣، وفريد رمضان في مجموعته «البياض» التي صدرت في عام ١٩٨٤.

من مصادر دراسة القصة القصيرة في البحرين

د. ابراهيم عبدالله غلوم:

١ ـ القصة القصيرة في الخليج العربي.

٢ ـ سلسلة مقالات عن القصة القصيرة في البحرين وتجربة البدايات نشرت في جريدة الأضواء عام ١٩٧٥.

٣ ـ الواقعية النقدية في قصص محمد عبد الملك، دراسة نقدية مطولة نشرت في مجلة كتابات عام ١٩٧٦.

٤ ـ انتحار الذات وانهيار القصة. دراسة نقدية في تجربة محمد الماجد القصصية، ملتقى محمد الماجد للقصة القصيرة، اسرة الأدباء والكتاب، مارس ١٩٨٧.

٥ ـ الواقعية الجديدة في القصة البحرينية القصيرة، مجلة الأقلام، العراق.

احمد المناعي:

١ ـ انطباعات عن الحركة الأدبية الجديدة في البحرين ـ صدى الأسبوع، عدد ١٠٧، ٢٣ نوفمبر ١٩٧١.

٢ ـ التعريف بالحركة الأدبية الجديدة في البحرين، إصدار أسرة الأدباء والكتاب.

عبد الله علي خليفة:

١ ـ ملاحظات حول القصة القصيرة في البحرين، مجلة الموقف الأدبي السورية.

٢ ـ قراءة في قصص أمين صالح، صدى الأسبوع، يوليه ١٩٧٣.

أحمد محمد عطية:

كلمات من جزر اللؤلؤ. دراسات في أدب البحرين الحديث ـ الهيئة المصرية العامة ١٩٨٨.

قاسم حداد:

عن واقع القصة القصيرة في البحرين.
مجلة الأقلام العراقية عدد ٧ نيسان سنة ١٠ ـ ١٩٧٥.

أسرة الأدباء والكتاب:

كتاب حول تجربة محمد الماجد القصصية، يضم دراسات نقدية للدكتور سليمان الشطي والدكتور ابراهيم عبدالله غلوم، والدكتور محمد جابر الأنصاري، والأستاذ عبد الحميد المحادين، يصدر قريباً.

د. محمد حسن عبدالله:

القصة البحرينية القصيرة بين حرية الفن وقيد الالتزام.
المجلة العربية للعلوم الانسانية ـ مجلد (١)، شتاء ١٩٨١.

د. عمر الطالب:

ملامح القصة القصيرة في الخليج العربي (الكويت والبحرين).
بحث ضمن كتاب اللغة العربية وآدابها في الخليج العربي، منشورات مركز دراسات الخليج العربي ـ جامعة البصرة ـ ١٩٧٧.

دراسات في أدب البحرين:

يتضمن فصلاً عن القصة القصيرة
منشورات معهد البحوث والدراسات العربية ـ القاهرة ١٩٨٠.